

تفسير الفرق لبعض آيات القرآن

(دراسة مقارنة)

الدكتور الضيف نظور *

الحمد لله الذي أنزل الفرقان، وخلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وبعد، فإن البحث في رحاب القرآن وميدان التفسير ذو حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن معرفة كتاب الله عز وجل تنير الدرب وتضيء الطريق، وعليه فقد شمر علماءنا من سلف هذه الأمة وخلفها عن ساعد الجد، وحاضوا غمار التفسير وركبوا أمواج بحره، يبحثون عن لآئنه ودرره، ليفيدوا بها الناس ويتقربوا بها إلى رب الأجناس. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم - بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - أكثر علماءً وفهماً لكتاب الله تعالى وأكثرهم عناية واهتماماً بالقرآن الكريم، يفسرونه أحسن تفسير، ويبينونه أحسن بيان.

ولكن لما ظهرت الفتن وانتشرت الفرق، برز التعصب المذهبي والعقدي وأصبح المفسرون لكتاب الله يؤولون الآيات القرآنية وفق عقائدهم وفرقهم فأحببت أن أسلط الضوء على بعض هذه الفرق وأبين المزالق التي وقعت فيها، مقارنةً إياها بفرقة أهل السنة والجماعة. فاخترت لذلك خمسة موضوعات مهمة، هي رؤية الله تعالى في الآخرة، وأفعال العباد، ومرتكب الكبيرة والشفاعاة، والسحر. ثم تتبع آراء مفسري هذه الفرق في هذه الموضوعات، مبتدئاً بأهل السنة والجماعة ثم المعتزلة ثم الاثني عشرية، وبعدها الزيدية ثم الإباضية.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

تكلمت في المقدمة عن أهمية هذا الموضوع وبعض الدراسات السابقة وعن منهجي في كتابة البحث.

* الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين) الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

أما التمهيد فقد بينت فيه - باختصار - نشأة التفسير وتطوره وتحدثت فيه أيضاً عن الفرق الإسلامية التي وجدت عندها تفاسير يمكنني أن أحكم عليها بواسطتها. وقد عرفت بكل فرقة وبينت أصولها ومبادئها باختصار.

وأما المبحث الأول فتحدثت فيه عن موضوع رؤية الله تعالى في الآخرة من وجهة نظر كل من يمثل فرقته من المفسرين.

وبينت في المبحث الثاني تفاسير هذه الفرق لمسألة أفعال العباد.

وفي المبحث الثالث تكلمت عن مسألة مرتكب الكبيرة.

وعالجت في المبحث الرابع موضوع الشفاعة في حين بينت في البحث الخامس موضوع السحر. وقد قارنت موضوعات هذه الفرق بما جاء عند فرقة أهل السنة والجماعة بينت فيها نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف.

أما الخاتمة فقد أثبت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد

كان الناس في الجاهلية يعيشون حياة ملؤها الشقاوة والتعاسة، والظلم والجور، القوي منهم يأكل الضعيف، والغني لا يرحم الفقير، يتقاتلون فيما بينهم لأتفه الأسباب وأبسطها. فأرسل الله تعالى - لهم وللناس أجمعين - رسوله الأمين محمداً عليه أفضل السلام وأزكى التسليم، وأنزل عليه القرآن هدىً ورحمة للعالمين، ومعجزة كبرى في وجوه المشركين والملحدين ومن تبعهم إلى يوم الدين....

وأمره سبحانه وتعالى بتأدية الأمانة، وتبليغ الرسالة، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وجمع من آمن به على كلمة التوحيد، ووحد بين الأوس والخزرج وآخى بين المهاجرين والأنصار وأقام الدولة الإسلامية بالمدينة؛ فقويت شوكة المسلمين وعاشوا حياة سعيدة في رحاب القرآن الكريم وسنة النبي الأمين، وقضوا زمناً طويلاً، وباب الخلاف بينهم مغلق إلى أن فتحه المنافقون، باعتراضهم على تطبيق الشرع أحياناً، وامتناعهم عن الجهاد، وإشاعتهم للفتن والشبهات أحياناً أخرى.

أما الاختلاف الذي وقع بعد ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم سواءً في موت الرسول صلى الله عليه وسلم أو في من يتولى الخلافة بعده أو في حروب الردة، أو جمع القرآن وغير ذلك.... فإنه اختلاف مبني على الاجتهاد، وسرعان ما ينتهي بالتشاور والاتحاد.

ولما امتدت رقعة الإسلام، واتسعت أرض الخلافة، اتسع معها باب الخلاف، ابتداءً من مقتل عثمان⁽¹⁾ رضي الله عنه فحدث خلاف كبير في مسألة القصاص من قتلته، واشتعلت نار الحرب بين الصحابة في موقعي الحمل، وصفين. وبدأت رؤوس الفرق تظهر وتبرز للعيان؛ فظهرت فرقة الخوارج، والشيعية، والمرجئة، والمعتزلة....

ثم افتقرت هذه الفرق إلى فرق كثيرة، وصل عددها إلى ثلاث وسبعين فرقة، إذا ما حسبنا فرقة أهل السنة والجماعة. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين، الناجين منها واحدة، والباقيون هلكي، قيل ومن الناجية؟ قال أهل السنة والجماعة، قيل: وما السنة والجماعة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي"⁽²⁾ وقد تكلم البغدادي⁽³⁾ عن هذه الفرق، وجمع ثلاثاً وسبعين فرقة وسمها بأسمائها، ثم ذكر بإجمال ما سمّاه من تلك الفرق، فقال:

"... فهذه الجملة التي ذكرناها تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة منها عشرون روافض، وعشرون خوارج، وعشرون قدرية وعشر مرجئة وثلاث نجارية⁽⁴⁾، وبكرية وضرارية، وجهمية، وكرامية⁽⁵⁾، فهذه ثنتان وسبعون فرقة. فأما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريقتي الرأي والحديث دون من يشترى لهُ الحديث"⁽⁶⁾.

والملاحظ أن أهم الفرق التي تركت بصماتها على واقع الحياة السياسية والعلمية هي: فرقة أهل السنة والجماعة - وهي الفرقة الناجية بإذنه تعالى - وفرقة المعتزلة، وفرقة الخوارج، وفرقة الشيعة... وكل فرقة من هذه الفرق تنهل حججها وأدلتها من كتاب الله وتدعي أن الحق معها. ولو ألقينا نظرة على نشأة التفسير وتطوره، لوجدناه قد ابتداءً بالتفسير بالرواية، ثم جاءت مرحلة التفسير بالرأي الجائر الممدوح عن طريق الاجتهاد.

ويمثل هذا التفسير بالمأثور والرأي الجائر فرقة أهل السنة والجماعة. ولكن لما ظهرت الفرق المبتدعة برز معها التفسير بالرأي المذموم وراحت كل فرقة تحاول مدّ أعناق الآيات القرآنية وتفسيرها وفق أصولها وعقائدها.

وهذا ما سأبينه - إن شاء الله - في هذه الدراسة التي أقدمها في هذا البحث. وقبل أن أشرع في هذه الدراسة يجدر بي ابتداءً أن أعرف بأشهر هذه الفرق التي تركت تفسيراً في المكتبات العامة يرجع إليه القراء والباحثون. وهي خمس:

- 1- أهل السنة والجماعة
- 2- المعتزلة
- 3- الإباضية من فرقة الخوارج
- 4- الإمامية الإثنا عشرية من فرقة الشيعة
- 5- الزيدية من فرقة الشيعة أيضاً

أولاً: فرقة أهل السنة والجماعة

وهي الفرقة الناجية - بإذنه تعالى - وقد عرفها البغدادي وبيّن أصولها فقال: "فأما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريقَي الرأي والحديث دون من يشترى لهُو الحديث. وفقهاء هذين الفريقين وقراءُهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحديث منهم، كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته وعدله وحكمته وفي أسمائه وصفاته وفي أبواب النبوة والإمامة وفي أحكام العقبي وفي سائر أصول الدين، وإنما يختلفون في الحلال والحرام من فروع الأحكام وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تنسيق وهم الفرقة الناجية ويجمعها الإقرار بتوحيد الصانع وقدمه وقدم صفاته الأزلية وإحازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل مع الإقرار بكتب الله ورسوله وتأييد شريعة الإسلام وإباحة ما أباحه القرآن وتحريم ما حرمه القرآن مع قيود ما صحَّ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتقاد الحشر والنشر وسؤال الملكين في القبر والإقرار بالحوض والميزان فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخلط إيمانه بها بشيء من بدع الخوارج والروافض والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية إن ختم الله له بها، وقد دخل في هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم من أصحاب مالك⁽⁷⁾ والشافعي⁽⁸⁾ وأبي حنيفة⁽⁹⁾ والأوزاعي⁽¹⁰⁾ والثوري⁽¹¹⁾ وأهل الظاهر...."⁽¹²⁾.

ثانياً: فرقة المعتزلة

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية. أما سبب تسميتهم بالمعتزلة، فيقول الشهرستاني⁽¹³⁾:

"دخل واحد على الحسن البصري⁽¹⁴⁾، فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرحئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان. ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء⁽¹⁵⁾: "أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزل عنا واصل. فسمي هو وأصحابه معتزلة"⁽¹⁶⁾.

أما أصول المعتزلة التي اتفقوا عليها فهي خمسة:

التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد قام ببيانها وشرحها الأستاذ فؤاد بن عبد الله المعتق في كتابه: المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها⁽¹⁷⁾.

ثالثاً: فرقة الإباضية

تعد فرقة رئيسية من فرق الخوارج وأجمعت على القول بإمامة عبد الله بن إباح⁽¹⁸⁾ الذي خرج في أيام مروان بن الحكم⁽¹⁹⁾، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية، فقاتله بتبالة، وقيل: إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقاً له في جميع أحواله وأقواله⁽²⁰⁾.
وتجتمع أهم آرائها فيما يلي:⁽²¹⁾

- 1- يقولون إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام ...
- 2- ويقولون إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي.
- 3- ويقولون بجواز الخروج على الإمام الظالم.
- 4- ويقولون إن مرتكب الكبيرة موحد لا مؤمن، وكافر كفر نعمة لا كفر الملة.
- 5- وقالوا: إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى إحدائاً وإبداعاً، ومكتسبة للعبد حقيقة، لا مجازاً.

رابعاً: فرقة الإمامية الإثني عشرية

وهي من أهم فرق الشيعة، والشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جليلاً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده⁽²²⁾....

والإثنا عشرية هم الذين بينهم الشهرستاني بقوله:

"إن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسموا قطعة ساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا: الإمام بعد موسى الكاظم: ولده علي الرضا، ومشهده بطوس، ثم بعده محمد التقي الجواد أيضاً، وهو في مقابر قريش ببغداد، ثم بعده: علي بن محمد النقي، ومشهده بقم، وبعده: الحسن العسكري الزكي، وبعده: ابنه محمد القائم المنتظر الذي هو بسر من رأى، وهو الثاني عشر. هذا هو طريق الإثنا عشرية في زماننا" ⁽²³⁾.

ثم بين أسامي الأئمة الاثني عشر : عند الإمامية فقال:

"أسامي الأئمة الاثني عشر عند الإمامية: المرتضى، والمجتبي، والشهيد، والسجاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضي، والتقوي، والنقي، والزكي، والحجة القائم المنتظر" (24).
وتجمع أهم آراء الإمامية الاثني عشرية فيما يلي: (25)

- 1- قولهم بالبداء
- 2- قولهم بالإمامة والعصمة. ويعتقدون أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش من سن الطفولة إلى الموت ...
- 3- ويعتقدون أن المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة 256هـ ولا يزال حياً وهو ابن الحسن العسكري واسمه محمد.
- 4- يقولون بالرجعة، ويعتقدون أن الله تعالى سيعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، فيعز فريقاً ويذل آخر.
- 5- يقولون بالتقية.
- 6- لا يقبلون من السنة إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت.
- 7- لا يعملون بالقياس.
- 8- يقولون بجواز نكاح المتعة

خامساً: فرقة الزيدية

قال الشهرستاني⁽²⁶⁾: "الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة؛ سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما ...". (27). وقد انقسمت الزيدية إلى ثلاث فرق.

فقال البغدادي⁽²⁸⁾: "فأما الزيدية من الرافضة فمطمعها ثلاث فرق وهي الجارودية والسليمانية، وقد يقال الحريرية أيضاً والبتزية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه وكان ذلك في زمان هشام بن عبد الملك" (29).

وإن أهم آراء الزيدية ما يلي⁽³⁰⁾:

- 1- يقولون بخلود صاحب الكبيرة في النار وهم من هذا الوجه كالخوارج.

- 2- أجمعوا على تصويب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حربه وعلى تحطئة من خالفه.
- 3- جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل. وهذا يعني صحة خلافة أبي بكر وعمر وإن لم يكونا أفضل من علي، وعدم تكفيرهما أو تكفير من بايعهما.
- 4- وأجمعت الزيدية على أن علياً - رضي الله عنه - كان مصيباً في تحكيمه الحكيمين...
- 5- تأثروا في الأصول بأراء المعتزلة وذلك راجع لتلمذ زيد بن علي وأصل بن عطاء.
- 6- وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي والشيعة.

أما فيما يخص منهج الزيدية في تفسير القرآن الكريم فهي قريبة من أهل السنة ما عدا فرقة الجارودية منهم فإنهم أقرب إلى الاثني عشرية منهم إلى أهل السنة.

تفاسير الفرق لبعض آيات القرآن

اختلفت الفرق في تفسيرها لبعض المواضع من كتاب الله تعالى بسبب تأثر كل فرقة بأفكارها، وتعصبها لمبادئها وأصولها - كما أشرت إلى ذلك في تمهيدي لهذا البحث - . وقد جعلت أهل السنة والجماعة هي الفرقة الأولى لكونها هي الفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة، ولكونها أيضاً هي النموذج الصحيح الذي أقيس عليه مدى التزام باقي الفرق⁽³¹⁾ بالحق والصواب، ومدى ابتعادها عنه.

وإليك هذه الدراسة وفق هذه المباحث الخمسة.

المبحث الأول: تفاسير الفرق لرؤية الله تعالى في الآخرة

اتفقت الفرق الإسلامية على عدم التمكن من رؤية الله تعالى في الدنيا، واختلفت في رؤيته - عز وجل - في الآخرة.

فأهل السنة والجماعة يجوزون الرؤية في الآخرة ويستدلون على ذلك من الكتاب والسنة.

أما المعتزلة والإثنا عشرية والإباضية فيقولون بعدم إمكانية رؤية الله تعالى في الآخرة. في حين قالت الزيدية بقول أهل السنة وأجازوا رؤيته تعالى في الآخرة. وبرجوعي إلى تفاسير هذه الفرق وقفت على آرائهم في هذه المسألة بالتفصيل.

أولاً: فرقة أهل السنة والجماعة

أجمع أهل السنة والجماعة على جواز رؤية الله تعالى عياناً في الآخرة، مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة.

قال الإمام ابن كثير⁽³²⁾، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾⁽³³⁾:

﴿... إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أي تراه عياناً كما رواه البخاري⁽³⁴⁾ رحمه الله تعالى في صحيحه "إنكم سترون ربكم عياناً"⁽³⁵⁾. وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تضامون في رؤية الشمس والقمر ليس دونها سحب؟" فقالوا: لا، قال "فإنكم ترون ربكم كذلك..."⁽³⁶⁾.

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي النعم ... فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾⁽³⁷⁾ قال الشافعي⁽³⁸⁾ رحمه الله تعالى: "ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل"⁽³⁹⁾.

ثانياً: فرقة المعتزلة

خالفت المعتزلة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ونفت رؤية الله تعالى في الآخرة. فقال القاضي عبد الجبار⁽⁴⁰⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾⁽⁴¹⁾:

"وربما قيل في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أنه أقوى دليل على أن الله تعالى يرى في الآخرة؟ وجوابنا أن من تعلق بذلك إن كان ممن يقول بأن الله تعالى جسم فإننا لا ننازعه في أنه يرى بل في أنه يصفح ويعانق ويلمس تعالى عنه ذلك وإنما نكلمه في أنه ليس بجسم، وإن كان ممن يلغي التشبيه على الله فلا بد من أن يعترف بأن النظر إلى الله تعالى لا يصح لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلباً لرؤيته وذلك لا يصح إلا في الأجسام فيجب أن يتأول على ما يصح النظر إليه وهو الثواب..."⁽⁴²⁾.

وقال الزمخشري⁽⁴³⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...﴾⁽⁴⁴⁾. ﴿...وزيادة﴾ وما يزيد على المثوبة وهي التفضل. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ...﴾⁽⁴⁵⁾.

وزعمت المشبهة والمجبرة⁽⁴⁶⁾ أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وجاءت بحديث مرقوع "إذا دخل أهل الجنة نودوا أن يأهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه" (47)، (48).

ثالثاً: فرقة الإمامية الإثني عشرية

ذهبت فرقة الإمامية الإثني عشرية مذهب المعتزلة في نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وهذا بينه وأكده الطبرسي⁽⁴⁹⁾ في تفسيره لقوله تعالى "﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾" (50). فقال:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ يعني يوم القيامة ﴿نَاصِرَةٌ﴾ أي ناعمة غضة حسنة، وقيل مسرورة، وقيل مضئئة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ اختلف فيه على وجهين:

أحدهما: أن معناه نظر العين

والثاني: أنه الانتظار.

واختلف من حمله على نظر العين على قولين:

أحدهما: أن المراد إلى ثواب ربها ناظرة أي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالاً بعد حال،

فيزداد بذلك سرورها.

وذكر الوجوه المراد أصحاب الوجوه ... فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه،

كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (51) أي أمر ربك.

والآخر: أن النظر بمعنى الرؤية، والمعنى تنظر إلى الله معاينة وهذا لا يجوز؛ لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدقة واللحاظ والله يتعالى عن أن يشار إليه بالأصابع. وأيضاً فإن الرؤية بالحاسة لا تتم إلا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق. وأيضاً فإن رؤية الحاسة لا تتم إلا باتصال الشعاع به على أن النظر لا يفيد الرؤية في اللغة، فإنه إذا علق بالعين أفاد طلب الرؤية، كما أنه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفة بدلالة قولهم: نظرت إلى الهلال فلم أره فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً....

وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فإنهم اختلفوا في معناه على أقوال (52)...

(53).

رابعاً: فرقة الزيدية

ذهبت فرقة الزيدية مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات رؤيته تعالى في الآخرة.

وهذا ما بينه الشوكاني⁽⁵⁴⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾⁽⁵⁵⁾ فقال: "﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ أي ناعمة غضة حسنة
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ هذا من النظر. أي إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة. أي تنظر إليه.
هكذا قال جمهور أهل العلم. والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربه يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر ..."⁽⁵⁶⁾.

خامساً: فرقة الإباضية

تقول فرقة الإباضية بنفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، وبالتالي فهي توافق مذهب المعتزلة ومذهب الإثني عشرية، وتخالف مذهب أهل السنة والجماعة وفرقة الزيدية.
ويقولون في الأحاديث النبوية الصحيحة التي أثبتت الرؤية أنها أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن صحت فإن النظر فيها بمعنى العلم.
يقول أطفيش⁽⁵⁷⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾⁽⁵⁸⁾.

"... فكفروا بطلب الرؤية لاستلزامها اللون والتركيب، والتحيز والحدود والحلول، والعجز عن الاستقلال وعمما بعد عن الحل كل العجز أو بعضه، والجهل به كل الجهل أو بعضه وذلك كله يستلزم الحدوث وذلك كله محال عن الله"⁽⁵⁹⁾.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ يفسر النظر بالانتظار فيقول:
﴿نَاطِرَةٌ﴾: منتظرة. أي ينتظر أصحابها رحمة الله ويرجوها ولا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من الله..."
وأما ما روي عنه صلى الله عليه وسلم "من أنكم ترون ربه يوم القيامة عياناً لا تضامون في رؤيته".

فإن ذلك كله كذب عن الراوي وكذب⁽⁶⁰⁾ عنه صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك يناهى قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾..."⁽⁶¹⁾.

ويتضح من هذا كله أن أطفيش يرد أحاديث صحيحة ويصفها بالكذب!! متأثراً بمذهب المعتزلة ومتعصباً لمذهب فرقته في قولهم بعدم جواز رؤية الله تعالى في الآخرة.

المبحث الثاني: أفعال العباد

اختلفت الفرق في أفعال العباد، هل هي مخلوقة من طرف الله سبحانه وتعالى أم هي غير مخلوقة، وأن العباد هم المحدثون لها؟ فذكر أهل السنة والجماعة والزيدية والإباضية أن أفعال العباد مخلوقة، خلقها الله تعالى.

في حين ذهب المعتزلة والإثنا عشرية إلى القول بأن أفعال العباد لا يحدث لها سواهم، وأن الله غير خالق لها. وإليكم البيان والتفصيل عن كل هذا.

أولاً: فرقة أهل السنة والجماعة

يقول أهل السنة والجماعة إن الله يخلق أفعال العباد خيراً وشرها ففي تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽⁶²⁾ يقول عليه رحمة الله: "﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهَا﴾ أي لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتم عليها ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم".

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي من عندك "رحمة" تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾" ⁽⁶³⁾

فأنت ترى - حفظك الله - أن ابن كثير ينسب الفعل إلى الله تعالى، بقوله: "لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتم عليها...". وقوله: "ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ" ثم أجدّه يستدل بأحاديث كثيرة يبين فيها أن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما يشاء، ومنها حديث عائشة⁽⁶⁴⁾، فقال: "عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يدعو: "يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك"، قلت: يا رسول الله، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء. فقال: "ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيم مقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاعه، أما تسمعين قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾" ⁽⁶⁵⁾. غريب من هذا الوجه، ولكن أصله ثابت في الصحيحين... " ⁽⁶⁶⁾.

ثانياً: فرقة المعتزلة

ذهب المعتزلة مذهباً مخالفاً لمذهب أهل السنة والجماعة، فذكر أصحابها أن الله لا يخلق أفعال العباد، بل إن أفعال العباد من تصرف العباد أنفسهم. يقول القاضي عبد الجبار⁽⁶⁷⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁶⁸⁾: "وربما قيل في قوله تعالى: "أتعبدون... الآية... أليس في ذلك تصريح بخلق أعمال العباد؟

وجوابنا: أن المراد والله خلقكم وما تعملون من الأصنام.

فالأصنام من خلق الله وإنما عملهم نحتها وتسويتها ولم يكن الكلام في ذلك فإنه صلى الله عليه وسلم أنكر عبادتهم فقال:

"أتعبدون ما تنحتون" وذلك الذي تنحتون، الله خلقه ولا يصح لما أورده عليهم معنى إلا على هذا الوجه وذلك في اللغة ظاهر لأنه يقال في النجار عمل السرير وإن كان عمله قد تقضى، وعمل الباب ونظير ذلك قوله تعالى في عصا موسى ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾⁽⁶⁹⁾ المراد ما وقع إفكهم فيه، فعلى هذا الوجه نتأول هذه الآية.⁽⁷⁰⁾

وفي تفسير الرمخشري⁽⁷¹⁾ لقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾⁽⁷²⁾ يقول: "﴿لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تبلنا ببلايا تزيع فيها قلوبنا. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وأرشدتنا لدينك. أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا."⁽⁷³⁾

وقد عقب ابن المنير⁽⁷⁴⁾ على هذا الكلام الذي ذكره الرمخشري وذكر بأنه محرف ومخالف لأهل السنة الذين يقولون بأن كل حادث من هدى وزيع مخلوق لله تعالى، وليس العبد هو الذي يخلقه لنفسه كما تدعي القدرية أو المعتزلة⁽⁷⁵⁾.

ثالثاً: فرقة الإثني عشرية

ذهبت فرقة الاثني عشرية مذهب المعتزلة فقالت بأن أفعال العباد ليست مخلوقة من طرف الله تعالى، وأن توفيق الإنسان يعود إلى لطف الله تعالى... يقول الطبرسي⁽⁷⁶⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽⁷⁷⁾.

"هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في الآية الأولى وذكر في تأويله وجوه. أحدها: أن معناه لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ وفقنا باللطافك حتى هديتنا إليك.

وهذا دعاء بالثبوت على الهداية والإمداد بالألطف والتوفيقات ويجري مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا، والمعنى: لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكأنهم قالوا: لا تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والألطف عنا فتزيع ونضل وإنما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة...

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي من عندك لطفًا تتوصل به إلى الثبات على الإيمان إذ لا تتوصل إلى الثبات على الإيمان إلا بلطفك كما لا يتوصل إلى ابتدائه إلا بذلك...⁽⁷⁸⁾.

رابعاً: فرقة الزيدية

ذهبت الزيدية مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة خلق أفعال العباد. ففي تفسير الشوكاني⁽⁷⁹⁾ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁸⁰⁾.

تجده ينسب فعل الفتنة وتطهير القلوب إلى الله حقيقة ولا يؤول تلك الأفعال فينسبها إلى العباد، كما تذهب إلى ذلك المعتزلة.

فيقول: "قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي ضلالتة ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي فلا تستطيع دفع ذلك عنه ولا تقدر على نفعه وهدايته ...

﴿أُولَئِكَ﴾ إلى من تقدم ذكرهم ، من الذين قالوا آمنا بأفواههم ومن الذين هادوا ، وخبره الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم : أي لم يرد تطهيرها من أرجاس الكفر والنفاق ، كما طهر قلوب المؤمنين... " (81).

خامساً: فرقة الإباضية

تتفق الإباضية مع أهل السنة والجماعة وفرقة الزيدية في مسألة أفعال العباد، وتختلف فيها مع المعتزلة والإمامية الاثني عشرية. فيقولون بأن الله خالق لأفعال العباد، وأن وقوع المعاصي بإرادته ومشيتته. ففي تفسير أطفيش (82) لقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (83).

يقول: "﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ عدم إشراكهم بالله تعالى ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾: به تعالى شيئاً فالآية دليل على أن شركهم بإرادة الله ومشيتته، وكذا معصية العاصي مطلقاً، بإرادته ومشيتته، وفيه رد على المعتزلة في قولهم لم يرد معصية العاصي ... " (84).

المبحث الثالث: مرتكب الكبيرة

ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى أن مرتكب الكبيرة عمداً مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وإذا مات من غير توبة فإن أمره يرجع إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه فإنه لا يخلد في النار.

وذهبت فرقة المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، ويخلد في النار ما لم يتب.

في حين ذهبت فرقة الإمامية الاثني عشرية وفرقة الزيدية وفرقة الإباضية إلى القول بخلود صاحب الكبيرة في النار ما لم يتب.

وإليك البيان والتفصيل.

أولاً: فرقة أهل السنة والجماعة

إنه برجوعي إلى تفسير القرآن العظيم لابن كثير (85) وقفت على أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن مرتكب الكبيرة مثل القتل العمد إذا تاب صاحبه تاب الله عليه وغفر له، وإذا لم يتب وأدخل النار فإنه لا يخلد فيها.

يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا...﴾ (86).

"...وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول، سبحانه، في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (87) (88).

وبعد أن أورد ابن كثير كلام من قال أنه ليس للقاتل توبة استناداً لأحاديث رويت عن ابن عباس (89) رضي الله عنه، قال:

"والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملاً صالحاً، بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن ظلامته.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (90) إلى قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (91) الآية، وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (92) الآية. وهذا عام في جميع الذنوب، من كفر وشرك، وشك ونفاق، وقتل وفسق، وغير ذلك: كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه" (93).

ثم ذكر أن القاتل إذا مات كافراً فالله لا يغفر له البتة، كذلك فإن حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة ولا بد من ردها إليهم لبيان صحتها، والإجماع منعقد في ذلك، فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة (94).

ثم قال: "ولا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، وقد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة، أو يعوض الله المقتول من فضله بما يشاء، من قصور الجنة ونعيمها، ورفع درجته فيها ونحو ذلك، والله أعلم" (95).

ثم ذكر أنه بتقدير من قال من السلف دخول القاتل النار بسبب عدم توبته أو أنه ليس عنده عمل صالح ينجيّه فإنه ليس مخلداً فيها أبداً واستشهد بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

"فليس بمخلد فيها أبداً، بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان" (96) (97).

ثانياً: فرقة المعتزلة

يرى أصحاب هذه الفرقة أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ويخلد في النار ما لم يتب، فإذا تاب تاب الله عليه.

يقول القاضي عبد الجبار⁽⁹⁸⁾ في شرح الأصول الخمسة: "إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين فلا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاوزها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن؛ بل له منزلة بينهما."⁽⁹⁹⁾

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾⁽¹⁰⁰⁾.

"...إنما يدل ذلك على أن توبة قاتل العمد لا تقبل كما روي عن بعضهم وجوابنا أنه تعالى قد قدر في العقول أن التوبة من كل المعاصي مقبولة وبينه أيضاً في القرآن بقوله ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ في سورة الفرقان بعد تقدم ذكر الكفر والقتل والزنا فالمراد إذا فجزاؤه جهنم إن لم يكن معه توبة. بين ذلك قوله ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ ومعلوم من حال التائب أنه حبيب الله وأنه لا يلعن ولا ينزل به الغضب من الله بل يناله الرضا من جهته"⁽¹⁰¹⁾.

وإذا كان القاضي عبد الجبار⁽¹⁰²⁾ قد بين رأيه في هذه المسألة وفق مذهبه وسكت؛ فإن الزمخشري⁽¹⁰³⁾ قد شن هجوماً عنيفاً على أهل السنة والجماعة واتهمهم بالطمع الفارغ واتباع الهوى لقولهم باحتمال وقوع عفو الله تعالى على القاتل المتعمد من غير توبة، إما بالشفاعة وإما بفضل الله عليه. فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا...﴾⁽¹⁰⁴⁾.

"والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة، ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي. فإن قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت ما أبين الدليل وهو تناول قوله "ومن يقاتل" أي قاتل كان، من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب إلا أن التائب أخرج الدليل. فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله"⁽¹⁰⁵⁾.

ثالثاً: فرقة الإثني عشرية

يرى الاثنا عشرية رأي المعتزلة في أن صاحب الكبيرة يخلد في النار ما لم يتب.
فيقول الطبرسي⁽¹⁰⁶⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾⁽¹⁰⁷⁾.

"ومن تعلق بهذه الآية من أهل الوعيد⁽¹⁰⁸⁾ في أن مرتكب الكبيرة لا بد أن يخلد في النار فإننا نقول له: ما أنكرت أن يكون المراد به من لا ثواب له أصلاً بأن يكون كافراً أو يكون قتله مستحلاً لقتله أو قتله لإيمانه فإنه لا خلاف أن هذه صفة من يخلد في النار ... وبعد فقد وافقنا على أن الآية مخصوصة بمن لا يتوب وأن التائب خارج عن عمومها"⁽¹⁰⁹⁾.

رابعاً: فرقة الزيدية

يرى أصحاب هذه الفرقة أن جزاء المتعمد في ارتكاب الكبيرة جهنم ما لم يتب. واشتروا في قبول توبة القاتل المتعمد شروطاً أهمها أن يكون معترفاً بقتله للآخر وأن يسلم نفسه للقصاص ... وإلا فهم لا يجزمون بقبول توبته.

وفي هذا الصدد يقول الشوكاني⁽¹¹⁰⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾⁽¹¹¹⁾.

"وقد جاءت هذه الآية بتعليق عقوبة القاتل عمداً، فجمع الله له فيها بين كون جهنم جزاء له، أي: يستحقها بسبب هذا الذنب، وبين كونه خالداً فيها، وبين غضب الله عليه، ولعنته له، وإعداده له عذاباً عظيماً. وليس وراء هذا التشديد تشديد، ولا مثل هذا الوعيد وعيد

....

وقد اختلف العلماء هل لقاتل العمد من توبة أم لا توبة له؟...

والحق أن باب التوبة لم يغلق دون كل عاص، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك، وهو أعظم الذنوب وأشدّها تمحوه التوبة إلى الله، ويقبل من صاحبه الخروج منه، والدخول في باب التوبة، فكيف بما دونه من المعاصي التي من جملتها القتل عمداً؟ لكن لا بدّ في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل، وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً، أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً، وكان القاتل غنياً متمكناً من تسليمها، أو بعضها. وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً، وعزمه على أن لا يعود إلى قتل أحد من دون اعتراف، ولا تسليم نفس، فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين، هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون"⁽¹¹²⁾.

خامساً: فرقة الإباضية

يرى أصحاب هذه الفرقة أن مرتكب الكبيرة، يخلد في النار ولا يغفر الله له إلا إذا تاب، فمن تاب، تاب الله عليه.
يقول أطفيش⁽¹¹³⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾⁽¹¹⁴⁾.

"﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ أبداً.
﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي علم مصيره نار جهنم أو لم يكن عنده مرضياً مقبول العمل. ﴿وَلَعَنَهُ﴾ أبعد من الجنة والسعادة.
﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في قبره ومحشره وفي جهنم. فإن تاب قبلت توبته...»⁽¹¹⁵⁾.
وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُوكُمْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ...﴾⁽¹¹⁶⁾.
يقول: "... ولا دليل في الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميت بلا توبة منها كما زعم غيرنا...»⁽¹¹⁷⁾.

المبحث الرابع: الشفاعة

اختلفت الفرق في موضوع الشفاعة، فذهبت أهل السنة والجماعة والزيدية إلى قبولها وثبوتها يوم القيامة للطائعين والتائبين وأهل الكبائر.
وذهبت المعتزلة والإباضية إلى عدم قبولها للعصاة وأهل الكبائر من المسلمين.
في حين قالت فرقة الإثني عشرية بثبوتها ووقوعها يوم القيامة وتكون من طرف النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت.
وإليكم التفصيل والبيان:

أولاً: فرقة أهل السنة والجماعة

يقول ابن المنير⁽¹¹⁸⁾ في حاشية الكشاف:
"أما من جحد الشفاعة فهو جدير بأن لا يناها، وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة، فأولئك يرجون رحمة الله. ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين، وإنما ادخرت لهم...»⁽¹¹⁹⁾.
ويقول الطاهر ابن عاشور⁽¹²⁰⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾⁽¹²¹⁾.

"... والخلاف في الشفاعة لأهل الكبائر فعندنا تقع الشفاعة لهم في حظ السيئات وقت الحساب أو بعد دخول جهنم لما اشتهر من الأحاديث الصحيحة في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "لكل نبي دعوة مستجابة وقد ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي" (122) وغير ذلك.... وعند المعتزلة لا شفاعة لأهل الكبائر... (123).

ثانياً: فرقة المعتزلة

يرى أصحاب هذه الفرقة أنه لا شفاعة للعصاة من أهل الكبائر. يقول الزمخشري في تفسيره تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ...﴾ (124): "فإن قلت هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم، لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع، فعلم أنها لا تقبل للعصاة.... ومعنى لا يقبل منها شفاعة إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها... (125).

ثالثاً: فرقة الإمامية الإثني عشرية

ترى فرقة الإثني عشرية أن الشفاعة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأصحابه ولالأئمة من أهل بيته ولصالحى المؤمنين. وفي هذا الصدد يقول الطبرسي (126) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ...﴾ (127): "قال المفسرون حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا فأياسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعة مقبولة، وإن اختلفوا في كيفيةها فعندنا هي مختصة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقه من مدني المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين. وهي ثابتة عندنا للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه المجتبيين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحى المؤمنين، وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين... (128).

رابعاً: فرقة الزيدية

ذهبت فرقة الزيدية مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الشفاعة ففي تفسير الشوكاني (129) لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (130).

يقول: "أي لا يملك من يدعونه من دون الله من الأصنام ونحوها الشفاعة من الله كما يزعمون أنهم يشفعون لهم ...

والمعنى: إلا من شهد بالحق، وهم المسيح وعزير والملائكة فإنهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها ... والمعنى لكن من شهد بالحق يشفع فيه هؤلاء ... " (131).

خامساً: فرقة الإباضية

ترى فرقة الإباضية أنه لا شفاعة لأهل الكبائر وهم في هذا متبعون لرأي المعتزلة. ففي تفسير أطفيش⁽¹³²⁾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾⁽¹³³⁾، يقول: "فالآية نص أو كالنص في أن لا شفاعة لأهل الكبائر، أي أنت بريء منهم على كل وجه"⁽¹³⁴⁾.

المبحث الخامس: السحر

اختلفت الفرق في موضوع السحر هل هو حقيقة أم لا؟ فذهبت فرقة أهل السنة والجماعة، وفرقة الزيدية وكذا الإباضية إلى القول بحقيقة السحر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد سحر ثم شفاه الله تعالى من ذلك. وذهبت المعتزلة والاثنا عشرية إلى القول بأن السحر ضرب من التخيل ولا تأثير له في الجسم ما لم يؤكل أو يشرب أو يشم. وإليكم ما ذكروه في تفاسيرهم مفصلاً.

أولاً: أهل السنة والجماعة

ترى فرقة أهل السنة والجماعة أن السحر حق، وأن جمهور علمائهم أثبتوا حقيقته. يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾⁽¹³⁵⁾. "وقد اختلف علماء الإسلام في إثبات حقيقة السحر وإنكارها وهو اختلاف في الأحوال فيما أراه، فكل فريق نظر إلى صنف من أصناف ما يُدعى بالسحر. وحكى عياض⁽¹³⁶⁾ في "إكمال المعلم" أن جمهور أهل السنة ذهبوا إلى إثبات حقيقته. قلت وليس في كلامهم وصف كيفية السحر الذي أثبتوا حقيقته وإنما أثبتوه على الجملة. وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له وإنما هو تمويه وتخيل وأنه ضرب من الخفة والشعوذة..."⁽¹³⁷⁾. وقد أثبت ابن كثير⁽¹³⁸⁾ في تفسيره سحر النبي صلى الله عليه وسلم مستنداً في ذلك إلى القرآن والسنة الصالحة للحجية.

فيذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾⁽¹³⁹⁾.

هن السواحر نقلاً عن جماعة من التابعين⁽¹⁴⁰⁾.

ثم استدل بأحاديث كثيرة على سحر النبي صلى الله عليه وسلم، ومما ذكره في ذلك قوله: "وقال البخاري⁽¹⁴¹⁾ في "كتاب الطب" من صحيحه ... عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحر، حتى كان يُرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا - فقال: "يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان ففعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زريق خليف اليهود، كان منافقاً - وقال: وفيه؟ قال: في مُشط ومُشاطة. قال: وأين؟ قال: في جُف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر دُرّوان". قالت: فأتى [النبي صلى الله عليه وسلم] البئر حتى استخرجه فقال: "هذه البئر التي أرتبها، وكأن ماءها نُقاعة الحنّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين". قال: فاستخرج. فقلت: أفلا تَنسَرتُ؟ فقال: "أمّا الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرّاً"⁽¹⁴²⁾،
(143).

ثانياً: فرقة المعتزلة

ترى المعتزلة أن السحر تمويه لا حقيقة له، وهي في هذا تخالف - كعادتها - أهل السنة والجماعة، بل إن أصحابها يسخرون من علماء أهل السنة، وأجدهم هذه المرة كذلك لا يلتفتون إلى أحاديث صحيحة في كتب الصحاح.

يقول الزمخشري⁽¹⁴⁴⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾. "النفّاثات: النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقداً في حيوط وينفنن عليها ويرقن: والنفث النفخ من ريق، ولا تأثير لذلك، اللهم إلا إذا كان ثمّ إطعام شيء ضار، أو سقيه، أو إشمامه. أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه؛ ولكن الله عزّ وجلّ قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبوت على الحقّ من الحشوية والجهلة من العوام، فينسبه الحشوية والرعاع إليهنّ وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبؤون به، فإن قلت: فما معنى الاستعاذة من شرهنّ؟ قلت: فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنهنّ الناس بسحرهنّ وما يخدعونهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشرّ عند نفثهن، ويجوز أن يراد بهنّ النساء الكيادات، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁴⁵⁾ تشبيهاً لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهنّ لهم وعرضهنّ محاسنهنّ، كأنهنّ يسحرهنّ بذلك"⁽¹⁴⁶⁾.

ثالثاً: فرقة الإثني عشرية

ذهبت فرقة الإثني عشرية إلى القول بما قالت به المعتزلة أي أن السحر ضرب من التخيل ينخدع به العامة، وردّت الأحاديث الصحيحة التي ذكرت سحر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالت عنها إنها أخبار مفتعلة لا يلتفت إليها.

وفي هذا المقام يقول الطبرسي⁽¹⁴⁷⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿...يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾⁽¹⁴⁸⁾.

".. وفي هذه الآية دلالة على أن الأفعال تختلف باختلاف المقاصد؛ ولذلك كان تعلم السحر لإزالة الشبهة والتحرز منه واجتنابه إيماناً ولتصديقه واستعماله كفرةً واختلف في ماهية السحر على أقوال:

ف قيل : إنه ضرب من التخيل وصنعة من لطيف الصنائع وقد أمر الله تعالى بالتعوذ منه، وجعل التحرز بكتابه وقاية منه وأنزل فيه سورة الفلق. وهو قول الشيخ المفيد أبي عبد الله من أصحابنا.

وقيل إنه خدع ومخاريق لا حقيقة لها يخيل إلى المسحور أن لها حقيقة، وقيل: إنه يمكن الساحر أن يقلب الإنسان حماراً ويقبله من صورة إلى صورة وينشئ الحيوان على وجه الاختراع. وهذا لا يجوز، ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يأمن من أن تكون معجزات الأنبياء من هذا النوع، ولو أن الساحر والمعزّم قدرا على نفع أو ضرر وعلم الغيب لقدرا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان بقتل الملوك من غير أن ينالهم مكروه وضرر. فلما رأيناهم أسوأ الناس حالاً وأكثرهم مكيدة واحتيالاً علمنا أنهم لا يقدرّون على شيء من ذلك. فأما ما روي من الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر فكان يرى أنه فعل ما لم يفعل أو أنه لم يفعل ما فعله فأخبار مفتعلة لا يلتفت إليها وقد قال سبحانه وتعالى حكاية عن الكفار ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾⁽¹⁴⁹⁾ فلو كان للسحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي صلى الله عليه وسلم من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فإنه حجة الله على خليقته وصفوته على بريته"⁽¹⁵⁰⁾.

رابعاً: فرقة الزيدية

ذهبت فرقة الزيدية مذهب أهل السنة والجماعة فأثبتت حقيقة السحر وأثره بإذن الله، وسحر النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام الشوكاني⁽¹⁵¹⁾ في تفسيره لقوله تعالى ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾⁽¹⁵²⁾.

"والسحر هو: ما يفعله الساحر من الحيل والتخيلات التي تحصل بسببها للمسحور ما يحصل

من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء، وما يظنه راكب السفينة، أو الدابة من أن الجبال تسير...

وقد اختلف: هل له حقيقة أم لا؟ فذهبت المعتزلة، وأبو حنيفة⁽¹⁵³⁾ إلى أنه خدع لا أصل له، ولا حقيقة. وذهب من عداهم إلى أن له حقيقة مؤثرة. وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم، سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، حتى كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولم يكن قد أتاه، ثم شفاه الله سبحانه، والكلام في ذلك يطول....

وقد أجمع أهل العلم على أن له تأثيراً في نفسه، وحقيقة ثابتة، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة، وأبو حنيفة كما تقدم...⁽¹⁵⁴⁾.

خامساً: فرقة الإباضية

ذهبت فرقة الإباضية في مسألة السحر، مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب الزيدية، فذكرت بأن السحر حق بمعنى أنه شيء ثابت، كما أنها أقرت بسحر النبي صلى الله عليه وسلم. يقول أطفيش⁽¹⁵⁵⁾ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾⁽¹⁵⁶⁾. "... والصحيح أن السحر حق بمعنى أنه شيء ثابت يكون سبباً في المضرة والتخيل. وخالق المضرة والتخيل هو الله. هل من خالق غير الله؟ ... ويدل لذلك حديث سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا مذهبنا ومذهب الشافعي⁽¹⁵⁷⁾ وأحمد⁽¹⁵⁸⁾ ومالك⁽¹⁵⁹⁾. وزعم أبو حنيفة⁽¹⁶⁰⁾ أنه لا حقيقة له ولا تأثير في الجسم...⁽¹⁶¹⁾.

الخاتمة : نتائج البحث

- إن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:
- 1- أن أهل السنة والجماعة والزيدية يجوزون رؤية الله تعالى في الآخرة، في حين وجدت أن المعتزلة والاثني عشرية والإباضية لا يجوزون ذلك.
 - 2- إتفقت أهل السنة والجماعة وفرقة الزيدية والإباضية على القول بأن أفعال العباد مخلوقة من طرف الله تعالى.
 - 3- أن مرتكب الكبيرة - عمداً - عند أهل السنة والجماعة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته إن مات من غير توبة فإن أمره يرجع إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه فإنه لا يخلد في النار.

- في حين ذهبت المعتزلة إلى القول بأن صاحب الكبيرة في المنزلة بين المنزلتين ويخلد في النار ما لم يتب.
- وذهبت فرقة الإمامية الاثني عشرية وفرقة الزيدية وفرقة الإباضية إلى القول بخلود صاحب الكبيرة في النار ما لم يتب.
- 4- إتفقت فرقة أهل السنة والجماعة وفرقة الزيدية وفرقة الاثني عشرية على القول بالشفاعة يوم القيامة للطائعين والتائبين والعاصين. في حين قالت المعتزلة والإباضية بعدم قبولها للعصاة وأهل الكبائر من المؤمنين.
- 5- ذهبت أهل السنة والجماعة وفرقة الإباضية وفرقة الزيدية إلى القول بحقيقة السحر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد سحر ثم شفاه الله تعالى من ذلك.
- وذهبت فرقة الإثني عشرية والمعتزلة إلى القول بأن السحر ضرب من التخيل ولا تأثير له في الجسم ما لم يؤكل أو يشرب أو يشم... كما أنكروا سحر النبي صلى الله عليه وسلم.
- 6- توصلت من خلال هذا البحث إلى أن أكبر فرقة عارضت أهل السنة والجماعة وسخرت - في بعض الأحيان - من علمائها هي فرقة المعتزلة، حيث خالفت أهل السنة والجماعة في الموضوعات الخمسة التي تناولتها بالبحث وهي: رؤية الله، أفعال العباد، مرتكب الكبيرة، الشفاعة، والسحر.
- 7- أن أقرب فرقة إلى أهل السنة والجماعة هي فرقة الزيدية حيث وافقتها في الرؤية وأفعال العباد والشفاعة والقول بحقيقة السحر. وخالفتها في مسألة واحدة هي: مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة.
- 8- على العكس من فرقة الزيدية فرقة الإمامية الاثني عشرية فإنها وافقت أهل السنة في مسألة واحدة وهي إثبات الشفاعة يوم القيامة، لرسول الله صلى الله عليه وسلم.... وأضافت إثباتها كذلك لأهل البيت...
- وقد خالفت أهل السنة في أربع مسائل، في رؤية الله تعالى في الآخرة وفي مسألة أفعال العباد، ومرتكب الكبيرة، والسحر.
- 9- خالفت فرقة الإباضية أهل السنة والجماعة في رؤية الله ومرتكب الكبيرة والشفاعة. واتفقت معها في مسألتين هما: أفعال العباد، والسحر.
- 10- أن فرقة الإثني عشرية متأثرة بأفكار المعتزلة. وهاتان الفرقتان معاً تحاولان رد الأحاديث الصحيحة التي تصادم مذهبهما في أكثر من مرة، ويقولون إن هذه الأحاديث مكذوبة

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ولو كانت تلك الأحاديث في كتب الصحاح.

11- أنه بالنظر في الأدلة التي تعتمد عليها كل فرقة وجدت أن أهل السنة والجماعة هي التي تستند - فعلاً - في إصدار أحكامها إلى الكتاب والسنة وجمهور علماء الأمة، وتقرب منها فرقة الزيدية.

في حين أن أكثر الفرق الأخرى تقدم العقل على النقل وتتبع الرأي والهوى وتتعصب إلى المذهب العقدي تعصباً مذموماً.

12- أنه ينبغي لمن يتصدى لتفسير كتاب الله أن يكون سليماً في العقيدة وصحيحاً في المقصد، ولا تكفي علوم الشرع واللغة والبلاغة لخوض غمار التفسير والغوص في بحر القرآن الكريم. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش

- 1- هو عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح. ثالث الخلفاء الراشدين. توفي شهيداً سنة 35هـ. (انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج 6 ص 391. رقم 5440. ط س 1411هـ - 1991م. نشر مكتبة ابن تيمية. القاهرة).
- 2- أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة حديث رقم 2640، ورقم 2641 بلفظ ملة بدل فرقة. ج 5 ص 25، 26. ط 1 س 1408هـ - 1987م. دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 3- هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، البغدادي (أبو منصور)، فقيه أصولي، متكلم، أديب مشارك في أنواع من العلوم، ولد ببغداد ونشأ بها. توفي سنة 429هـ - 1038م. (انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج 5 ص 309).
- 4- قوله: "وثلاث نجارية"، عدّها في كلامه المفصل فرقة واحدة.
- 5- عدّد كذلك البكرية والضرارية والجهمية والكرامية فرقة واحدة لعدم تكفير بعضها البعض. وبالتالي يصح المجموع الذي ذكره، فيساوي اثنتين وسبعين فرقة.
- 6- الفرق بين الفرق للبغدادي ص 19. ط س 1408هـ - 1987م، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة. بيروت - لبنان.
- 7- هو مالك بن أنس بن مالك إمام دار الهجرة، وإليه تنسب المالكية. ولد سنة 93هـ - 712م وتوفي بالمدينة سنة 179هـ - 795م. ودفن بالبقيع. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج 8 من ص 48 إلى ص 153. ط 7 س 1410هـ - 1990م. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان).
- 8- هو محمد بن إدريس الشافعي، إليه تنسب الشافعية. ولد بغزة فلسطين سنة 150هـ - 767م وتوفي بمصر سنة 204هـ - 819م. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج 10 من ص 5 إلى ص 99).
- 9- هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة. الكوفي عالم العراق وصاحب المذهب الحنفي ولد سنة 90هـ وتوفي سنة 150هـ. (انظر المرجع السابق ج 6 من ص 390 إلى 403).

- 10- هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع - أبو عمر: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد. ولد في بعلبك سنة 88هـ، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها سنة 157هـ. (انظر الأعلام للزركلي ج 3 ص 320).
- 11- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. أمير المؤمنين في الحديث. ولد بالكوفة سنة 97هـ ونشأ بها، ثم خرج منها سنة 144هـ فسكن مكة والمدينة، ثم انتقل إلى البصرة ومات بها سنة 161هـ. (انظر الأعلام للزركلي ج 3 ص 104).
- 12- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص 20 ط 2 س 1977م. الناشر: دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان.
- 13- هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي صاحب الملل والنحل. ولد سنة 467هـ - 1075م وتوفي سنة 548هـ - 1153م. (انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج 10 ص 187، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت - لبنان).
- 14- هو الحسن البصري أبو سعيد رأس الطبقة الثالثة. توفي في رجب سنة 110هـ. (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي مج 1 ج 1 ص 71 ط 3. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان).
- 15- هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال كان من أبرز علماء الكلام ولد سنة 80هـ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة 181هـ. (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان مج 1 ص 7-11. دار صادر بيروت، لبنان).
- 16- الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 48. تح محمد سيد كيلاي. الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- 17- أنظر المعتزلة وأصولهم الخمسة. تأليف عؤاد بن عبد الله المعتق من ص 81 إلى 281. ن 1 س 1409هـ. دار العاصمة الرياض.
- 18- هو عبد الله بن إباح المري التميمي رأس الإباضية وكان معاصراً لمعاوية. توفي سنة 86هـ - 705م. (انظر الأعلام للزركلي مج 4 ص 61، 62. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان).
- 19- هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك. خليفة أموي. هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص. وإليه ينسب بنو مروان. ولد بمكة سنة 2هـ وتوفي بالشام سنة 65هـ. (انظر الأعلام للزركلي ج 7 ص 207).
- 20- أنظر الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 134.

- 21- أنظر الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 134، 135.
- وانظر الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة للدكتور علي عبد الفتاح المغربي من ص 197 إلى ص 202. ط 1 س 1407 هـ - 1986 م. دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي. الأزهر
- 22- أنظر الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 146.
- 23- المرجع السابق ج 1 ص 166.
- 24- المرجع السابق ج 1 ص 173.
- 25- أنظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور فهد الرومي ج 1 من ص 189 إلى ص 192.
- وانظر عقيدة الشيعة الإمامية عرض ودراسة للسيد هاشم معروف. دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- 26- سبقت ترجمته.
- 27- أنظر الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 154، 155.
- 28- سبقت ترجمته.
- 29- الفرق بين الفرق للبغدادي ص 16.
- 30- أنظر الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 154 إلى 162، وأنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص 24، 25، وأنظر الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة للدكتور علي عبد الفتاح المغربي ص 167، 168، وانظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي ج 1 ص 277، 278.
- 31- أقصد بباقي الفرق: فرقة المعتزلة، وفرقة الإثني عشرية، وفرقة الزيدية وفرقة الإباضية، وقد اكتفيت بهذه الفرق لوجود تفاسير عند أصحابها يمكن الرجوع إليها، والحكم عليها.
- 32- هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير صاحب التفسير والبداية والنهاية في التاريخ ولد سنة 700 هـ وتوفي سنة 774 هـ. (انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين يوسف الأتابكي ج 11 ص 123. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر).
- 33- سورة القيامة: 22، 23.

- 34- هو محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري صاحب الصحيح ولد في شوال سنة 194هـ وتوفي في قرية خرتنك على فرسخين من سمرقند سنة 269هـ. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج 12 من ص 391 إلى ص 471. ط 7 س 1410هـ - 1990م. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان).
- 35- أنظر صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ القيامة 23 - 23 ج 6 ص 2703 حديث رقم 6998.
- 36- أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب الرؤية. ج 5 ص 98، 99. ط 1 س 1394هـ - 1974م. دارالحديث للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
- قال الشيخ الألباني صحيح. (أنظر صحيح سنن أبي داود باختصار السند للشيخ الألباني كتاب السنة باب الرؤية ج 3 ص 895. ط 1 س 1409هـ - 1989م. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان).
- 37- سورة المطففين: 15.
- 38- سبقت ترجمته.
- 39- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 4 ص 578. ط 1 س 1419هـ - 1998م. مؤسسة الريان - الكويت.
- 40- هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. أبو الحسن. قاضي أصولي كان شيخ المعتزلة في عصره توفي سنة 415هـ - 1025م. (انظر الأعلام للزركلي مج 3 ص 273. ط 12 س 1997م، دار العلم للملايين بيروت، لبنان).
- 41- سورة القيامة: 22، 23.
- 42- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص 442. دار النهضة الحديثة، بيروت - لبنان. بدون تاريخ.
- 43- هو محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي، ولد سنة 467هـ وتوفي سنة 568هـ. (أنظر نيل السائر في طبقات المفسرين لمحمد طاهر الفننجيري ج 1 ص 118، مط: إسلامي كتب خانة بازار قصة خواني بشاور، باكستان).
- 44- سورة يونس: 26.
- 45- سورة النساء: 173.

- 46- يقصد: أهل السنة والجماعة ! القائلين بجواز رؤيته تعالى في الآخرة.
- 47- قال ابن حجر في تعليقه على هامش الكشاف في قول الزمخشري "مرفوع": "قال الطيبي قوله "مرفوع" هو عنده بالقاف، أي مفتى أي مرفوع معدي. وهو عند أهل السنة بالفاء". وقد أخرج مسلم في صحيحه مع اختلاف في بعض الكلمات. باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربه سبحانه وتعالى ج 1 ص 112. حديث رقم 467 دار الجليل بيروت - لبنان.
- 48- تفسير الكشاف للزمخشري مج 2 ص 330 ط 3 س 2003 م - 1424 هـ. مط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 49- هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي، الشيعي. أبو علي أمين الدين. مفسر مشارك في بعض العلوم. توفي سنة 548 هـ - 1153 م. (انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج 8 ص 66. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان).
- 50- سورة القيامة: 22، 23.
- 51- سورة الفجر: 22.
- 52- هذه الأقوال - باختصار - ثلاثة: أحدها: أن المعنى منتظرة إلى ثواب ربها وثانيها: أن معناه مؤملة لتجديد الكرامة. وثالثها: معناه أنهم قطعوا آمالهم وأطماعهم عن كل شيء سوى الله تعالى. فكفى سبحانه عن الطمع بالنظر.
- (أنظر مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج 9 ص 399، مط: إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. بدون تاريخ).
- 53- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج 9 ص 397، 398.
- 54- هو محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، مفسر، محدث، فقيه، ولد سنة 1173 هـ وتوفي بصنعاء سنة 1250 هـ. (أنظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج 2 ص 214. ن: مكتبة ابن تيمية القاهرة. مصر. بدون تاريخ).
- 55- سورة القيامة: 22، 23.
- 56- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ج 5 ص 338. مط: عالم الكتب. بدون تاريخ.

- 57- هو محمد بن يوسف بن عيسى الحفصي الجزائري مفسر فقيه محدث، أديب، شاعر، إباضي المذهب. ولد سنة 1236هـ-1820م وتوفي سنة 1332هـ-1914م. (أنظر معجم المؤلفين لعممر رضا كحالة ج 12 ص 133).
- 58- سورة البقرة: 55.
- 59- هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف اطفيش الإباضي ج 2 ص 47. ط س 1413هـ - 1993م. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان.
- 60- هذا ليس كذب من الراوي ولا كذب عنه صلى الله عليه وسلم، بل الحديث أخرجه أهل العلم في كتب الصحاح. انظر سنن أبي داود كتاب السنة. باب الرؤية ج 5 ص 98 - 99. وقد قال فيه الشيخ الألباني صحيح. (انظر صحيح سنن أبي داود باختصار السند للألباني كتاب السنة باب الرؤية ج 3 ص 895).
- 61- هميان الزاد إلى دار المعاد لأطفيش ج 15 ص 88، 89.
- 62- سورة آل عمران: 8.
- 63- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. مج 1 ص 454.
- 64- هي عائشة بنت الخليفة أبي بكر الصديق أم المؤمنين، ولدت بمكة في السنة الثامنة قبل الهجرة. وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين وقيل بنت سبع، وبنى بها وهي بنت تسع. توفيت بالمدينة سنة 58هـ.
- أنظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج 4 من 359 إلى ص 361. مكتبة المثنى بغداد - العراق.
- 65- سورة آل عمران: 8.
- 66- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مج 1 ص 455. وانظر سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر وآخرين، كتاب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ج 4 ص 448. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. قال الشيخ الألباني في حاشية سنن الترمذي: صحيح.
- 68- سبقت ترجمته.
- 68- سورة الصافات: 95، 96.
- 69- سورة الأعراف: 117.

-
- 70- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص 354.
- 71- سبقت ترجمته.
- 72- سورة آل عمران: 8.
- 73- تفسير الكشاف للزمخشري مج 1 ص 334.
- 74- هو أحمد بن محمد بن منصور الإسكندري المالكي. عالم مشارك في بعض العلوم كالنحو والعربية والأدب والتفسير والبلاغة ولد سنة 620هـ وتوفي سنة 683هـ. (أنظر معجم المؤلفين لكحالة ج 2 ص 161).
- 75- أنظر حاشية الكشاف للزمخشري مج 1 ص 334.
- 76- سبقت ترجمته.
- 77- سورة آل عمران: 8.
- 78- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي مج 1 ج 2 ص 411، 412.
- 79- سبقت ترجمته.
- 80- سورة المائدة: 41.
- 81- فتح القدير للشوكاني ج 2 ص 41.
- 82- سبقت ترجمته.
- 83- سورة الأنعام: 107.
- 84- هميان الزاد إلى دار المعاد ج 6 ص 211.
- 85- سبقت ترجمته.
- 86- سورة النساء: 93.
- 87- سورة الفرقان: 68.
- 88- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 1 ص 700.
- 89- هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحابي جليل، عالم بالتفسير والفقهاء. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة 68هـ. (أنظر الإصابة لابن حجر، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ج 6 من 130 إلى ص 140).
- 90- سورة الفرقان: 68.
- 91- سورة الفرقان: 70.

-
- 92- سورة الزمر: 53.
- 93- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 1 ص 702.
- 94- أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 1 ص 702، 703.
- 95- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 1 ص 703.
- 96- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. ج 1 ص 182، 183. حديث رقم 326. (مع اختلاف في بعض الألفاظ) المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. استانبول - تركيا.
- 97- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 1 ص 702.
- 98- سبقت ترجمته.
- 99- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعواد بن عبد الله المعتق ص 256. نقلاً عن شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 697.
- 100- سورة النساء: 93.
- 101- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، ص 104.
- 102- سبقت ترجمته.
- 103- سبقت ترجمته.
- 104- سورة النساء: 93.
- 105- تفسير الكشاف للزمخشري مج 1 ص 540.
- 106- سبقت ترجمته.
- 107- سورة النساء: 93.
- 108- يعني بهم: المعتزلة.
- 109- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج 3 ص 92.
- 110- سبقت ترجمته.
- 111- سورة النساء: 93.
- 112- فتح القدير للشوكاني ج 1 ص 499.
- 113- سبقت ترجمته.
- 114- سورة النساء: 93.

-
- 115- هميان الزاد إلى دار المعاد لأطفيش ج 5 ص 101، 102.
- 116- سورة البقرة: 284.
- 117- هميان الزاد إلى دار المعاد لأطفيش ج 3 ص 462.
- 118- سبقت ترجمته.
- 119- تفسير الكشاف للزمخشري مج 1 ص 139 هامش رقم (2).
- 120- هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة بتونس. ولد سنة 1296هـ - 1879م، وتوفي سنة 1393هـ = 1973م.
- (أنظر الأعلام للزركلي ج 6 ص 174. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان).
- 121- سورة البقرة: 49.
- 122- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب لكل نبي دعوة مستجابة ج 5 ص 2323.
- 123- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج 1 ص 471. ط 1 س 1420هـ - 2000م. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
- 124- سورة البقرة: 49.
- 125- تفسير الكشاف مج 1 ص 139، 140.
- 126- سبقت ترجمته.
- 127- سورة البقرة: 49.
- 128- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي مج 1 ص 103، 104.
- 129- سبقت ترجمته.
- 130- سورة الزخرف: 86.
- 131- فتح القدير للشوكاني ج 4 ص 567.
- 132- سبقت ترجمته.
- 133- سورة الأنعام: 159.
- 134- هميان الزاد إلى دار المعاد ج 6، ص 339.
- 135- سورة البقرة: 102.

-
- 136- هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض. ولد سنة 476هـ وتوفي بمراكش سنة 544هـ. وكان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب.
(أنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مج 3 ص 148، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان).
- 137- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج 1 ص 619.
- 138- سبقت ترجمته.
- 139- سورة الفلق: 4.
- 140- أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 4 ص 747.
- 141- سبقت ترجمته.
- 142- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب: هل يستخرج السحر حديث رقم 5432 ج 5 ص 2175. ط 4 س 1410هـ - 1990م، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت.
- 143- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مج 4 ص 747، 748.
- 144- سبقت ترجمته.
- 145- سورة يوسف: 28.
- 146- تفسير الكشاف للزمخشري مج 4 ص 816، 817.
- 147- سبقت ترجمته.
- 148- سورة البقرة: 102.
- 149- سورة الإسراء: 47.
- 150- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج 1 ص 177.
- 151- سبقت ترجمته.
- 152- سورة البقرة: 102.
- 153- سبقت ترجمته.
- 154- فتح القدير للشوكاني ج 1 ص 119 - 121.
- 155- سبقت ترجمته.
- 156- سورة البقرة: 102.

-
- 157- سبقت ترجمته.
- 158- هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي ولد ببغداد سنة 164هـ. وتوفي بها سنة 241هـ. انظر طبقات الحفاظ للسيوطي من ص 189 إلى ص 191. ط 1 س 1403هـ - 1983م. مط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 159- سبقت ترجمته.
- 160- سبقت ترجمته.
- 161- هميان الزاد إلى دار المعاد لأطفيش ج 2 ص 200.